مفهوم الربانية في القرآن الكريم

إعداد الدكتور/

عثمان محمد الحسن عبد اللطيف

قسم القرآن الكريم والتفسير كلية أصول الدين

جامعة أم درمان الإسلامية

السودان

من ٢٨٦٩ إلى ٢٩١٤

مستخلص البحث

يتلخص هذا البحث في التعريف بمقام الربانية وبعض من حاز هذا المقام من أمة النبي صلى الله عليه وسلم، إضافة لذكر الآيات القرآنية التي ورد فيها لفظ الربانية والربانيين، مع ذكر صفاتهم ومظاهر الربانية فيما تضمنته قصصهم في الكتاب والسنة.

The concept of God in the Koran

Dr /Othman Mohammed Al - Hassan Abdul - Latif
Department of the Koran and interpretation Faculty of Fundamentals of Religion
Omdurman Islamic University

Abstract

This research is surmised in identifying the stage of (rbbaniah), and some of whom acquired this stage of the prophet's (PBUH) students (sahabah). In addition to mentioning the holy Quran verses which mention the word (rabbaniah) or (rabbanien). And mentioning their qualities and the aspects of (rabbaniah) included in their stories in the holy book of Quran and in sunnah.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين الذي منَّ علينا بنعمة الإسلام وجعلنا من أمة خير الأنام سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد:

فنحن الأمة المحمدية أمة القرآن أقمنا به حضارة عريقة وحملنا رسالة إنسانية عالمية هي رسالة الروح والإيمان والأخلاق والأخوة الإنسانية، هي رسالة الشريعة السمحاء شريعة الإسلام.

إن شريعة الإسلام لا تخضع للغرائز ولا تسلم قيادها للشهوات ولا تسجد للشيطان ولا تتبع خطواته في الإفساد، وإنها لتسمو لأن هدفها الأول والأخير إيجاد الإنسان الفاضل والظفر برضوان الله وحبه.

وفي سبيل إيجاد الحضارة الإيمانية الربانية التي من بين يديها تنطلق تلك الأشعة الربانية التي تعمق الاتجاه الروحي في النفوس القلقة وتثبت الإيمان وتنميه في القلوب الحائرة، وفي سبيل عالم أسمى وإنسانية أهدى ورضوان من الله أكبر، قمت بهذا البحث وأرجو أن يكون أساسًا لقبس من النور والهداية ندعو الله أن يكتب له النمو والانتشار حتى يتم ضوؤه، ويعم نوره فيكون طليعة بعث جديد لحضارة جديدة أقوم قيلاً وأهدى سبيلاً.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

إن من دواعي الكتابة في هذا البحث أولاً تأثر المسلمين بالفكر المادي الأوربي الذي أبعدهم عن الروح الرباني في هذا الدين والذي هو أساسه مما انعكس سلبًا على الجانب الروحي في سلوك علماء المسلمين في إطار الدعوة إلى الله تعالى.

فإن الهجمة الشرسة من الكفار على المسلمين جعلتهم يركنون إلى

الأسباب المادية لجلب المياه ويتخلفون عن الأسباب الروحية.

فالعقلاني المتأثر بالفكر الأوربي ينظر أولاً إلى الأسباب المادية، وقد لا يتجاوز الأسباب إلى مسبب الأسباب، وأما الرباني فإنه أولاً يلجأ إلى الله تعالى بالدعاء، والتضرع والصدقات ومختلف أنواع القربات، ثم يأخذ بعد ذلك بالأسباب، يقول العلماء الربانيون: الأخذ بالأسباب واجب، والاعتماد عليها كفرٌ، لا تترك السبب حتى يتركك السبب.

من دواعي الكتابة في موضوع الربانية أننا قد نكون على مشارف عصر رباني ينصر الدين فيه قوم ربانيون سلاحهم التهليل، والتكبير، «فيفتحون القسطنطينية بالتسبيح والتكبير»، كما فتحوا حمصًا من قبل بالتهليل والتكبير، وسيأتي قوم التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد يقوم لهم مقام الطعام.

وهذه الهجمة الاستعمارية على الإسلام والمسلمين فكرية وأخلاقية واجتماعية وحضارية وعسكرية، والتي لا يمكن أن تواجه بالعقلانية فلا بد من بعث الروح الرباني حتى يستطيع المسلم أن يقف أمام هذا التيار الاستعماري.

فناسب ذلك أن ننبه المسلمين إلى الربانية في القرآن، وندعوهم للتخلق بأخلاق الربانيين الواردة في القرآن الحديث وآثار الصحابة والتابعين.

مشكلة البحث:

تأثر بعض المسلمين بالفكر العلماني.

أهداف الدراسة:

- **الوصول إلى أوصاف المؤمن كامل الإيمان الذي يكون كل حركاته وسكناته بالله ولله رب العالمين.**
- **تنمية الوازع الإيماني لدى المسلمين، ونقلهم من المادية والعقلانية إلى مقام الربانية.**
- **الارتقاء بالأمة إلى مقامها المسلوب وبلوغ عزها المنشود.**

الدراسات السابقة:

لم أقف ـ حسب علمي ـ على بحث علمي تناول طرف هذا الموضوع المهم، وهذا يعطي الموضوع صفة الأصالة والابتكار اللذين هما من أهم دعائم البحث العلمي.

خطة البحث:

تشتمل خطة البحث على مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة وفهرس للمصادر والمراجع:

أما المقدمة فتحتوي على:

١- سبب اختيار الموضوع وبيان أهميته.

٢- مشكلة البحث.

٣- أهداف الدراسة.

٤- الدراسات السابقة.

المبحث الأول: **التعريف بالربانية لغةً واصطلاحًا.**

المبحث الثاني: **الآيات التي وردت فيها كلمة (الرباني) في القرآن الكريم.**

المبحث الثالث: **صفات الربانيين في القرآن الكريم.**

المبحث الرابع: **ذكر نماذج من الربانيين.**

المبحث الخامس: **ذكر نماذج من الربانيات.**

الخاتمة النتائج والتوصيات

فهرس المصادر والمراجع.

المبحث الأول
تعريف الربانية لغة واصطلاحًا

قال ابن منظور: «الرب هو الله عزَّ وجلَّ، وهو رب كل شيء؛ أي مالك له، والربوبية على جميع الخلق لا شريك له، وهو رب الأرباب ومالك الملوك والأملاك، ولا يقال الرب في غير الله إلا مضافًا كرب البيت»[١] ونحوه.

وتطلق كلمة الرب على المالك والسيد والمدبر المربي والقيِّم والمُنعم ولا يطلق غير مضاف إلا على الله عزَّ وجلَّ. وقد جاء في الشعر إطلاقه على غير الله إضافة قليلاً، وكلمة ربِّي وربَّانيّ نسبة للرب تعالى وزيدت فيها الألف والنون للمبالغة.

وأما اصطلاحًا فقال سيبويه[٢]:«زادوا ألفًا ونونًا في الرباني إذا أرادوا تخصيصًا بعلم الرب دون غيره من العلوم، كان معناه صاحب علم بالرب دون غيره من العلوم».

و(الرباني) هو المنسوب إلى من كان بالصفة التي وصفت، وكان العالم بالفقه والحكمة من المصلحين، يرب أمور الناس، بتعليمه إياهم الخير، ودعائهم إلى ما فيه مصلحتهم، وكان كذلك الحكيم التقي لله، والوالي الذي يلي

---

[١] لسان العرب: لابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي، (ت ٧١١هـ)، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت.

[٢] سيبويه: هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر إمام البصريين في النحو غير منازع، أصله من فارس. ونشأ بالبصرة، وكان في لسانه حبسة، أخذ النحو عن أعلم علماء العربية الخليل بن أحمد الفراهيدي، وعيسى بن عمرو، ويونس بن حبيب، وكتابه أعظم كتب النحو منذ دون للآن.

قيل: مات بشيراز سنة ١٨٠هـ عن ٣٢ سنة، وقيلت أقوال كثيرة غير ذلك، وقد ذكر السيرافي نسبه بالتفصيل: انظر شرح الكتاب: ٣٠٨/١، وأخبار النحويين: ص٣٧.

أمور الناس على المنهاج الذي وليه المقسطون من المصلحين أمور الخلق، بالقيام فيهم بما فيه صلاح عاجلهم وآجلهم، وعائدة النفع عليهم في دينهم، ودنياهم، كانوا جميعًا يستحقون أن يكونوا ممن دخل في قوله عزَّ وجلَّ: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾[1] .

فـ(الربانيون) إذًا هم عماد الناس في الفقه والعلم وأمور الدين والدنيا، ولذلك قال مجاهد: «وهم فوق الأحبار»، لأن «الأحبار» هم العلماء، و«الرباني» الجامع إلى العلم والفقه، البصر بالسياسة والتدبير والقيام بأمور الرعية، وما يصلحهم في دنياهم ودينهم.

---

[1] جامع البيان في تأويل القرآن: ٥٤٤/٦. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

المبحث الثاني
ورود كلمة الربانية في القرآن الكريم

وقد وردت هذه الكلمة في القرآن أربع مرات مرتين بمعنى العلماء بالله، وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[2]. وقد كر الله في هاتين الآيتين نوعين من العلماء الربانيين والأحبار، فالربانيون على حد قوله سيبويه هم العلماء بالله والأحبار هم العلماء بشرع الله.

وقد وردت في آيتي آل عمران بمعنى أتباع الرسل، فهي تشمل العلماء وغير العلماء، وهي قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾[3]. وقوله تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[4].

وهذه الكلمة لم ترد كثيرًا في كلام العرب، وقد وردت في القرآن أربع مرات،

---

[1] سورة المائدة، الآية (٤٤).

[2] سورة المائدة، الآية (٦٣).

[3] سورة آل عمران، الآية (٧٩).

[4] سورة آل عمران، الآية (١٤٦).

ووردت في كلام علي بن أبي طالب[١] كرم الله وجهه، فقد روي عند قوله: «الناس ثلاثة عالم رباني، ومتعلم على سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق»[٢].

وقد وردت في كلام محمد بن علي ابن الحنفية لما مات عبد الله بن عباس قال: «اليوم مات رباني هذه الأمة»[٣].

ولذلك قال أبو عبيدة: وأحسب الكلمة ليست بعربية، إنما هي عبرانية أو سيريانية وذلك أن أبا عبيدة زعم أن العرب لا تعرف الربانيين، وقال أبو عبيدة: وإنما عرفها الفقهاء وأهل العلم[٤].

الآيات التي وردت فيها كلمة رباني:

الآية الأولى: وهي قوله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾. **روى ابن جرير، وابن أبي حاتم وغيرهما عن ابن عباس قال: قال أبو رافع القرظي حين اجتمعت اليهود النصارى من أهل نجران عند النبي صلى الله عليه وسلم ودعاهم إلى الإسلام: أتريد يا محمد منا أن**

---

[١] **علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم القرشي الهاشمي أول الناس إسلامًا، ولد قبل البعثة بعشر سنين على الصحيح، فربي في حجر النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يفارقه، وزوجه النبي بنته فاطمة، وكان اللواء بيده في أكثر المشاهد، ولما آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه قال له: «أنت أخي»، وكان أحد رجال الشورى الذين نص عليهم سيدنا عمر، وقتل سنة ٤٠هن له ترجمة في: الاستيعاب: ١١٤٤/٣، وأسد الغابة: ١٤٥/٤، والإصابة: ٢٧٩/٤، وتذكرة الحفاظ: ٥/١.**

[٢] **لسان العرب: ٤٠٤/١.**

[٣] **المرجع السابق: ٤٠٤/١.**

[٤] **المرجع السابق: ٤٠٤/١.**

نعبدك كما تعبد النصارى عيسى بن مريم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «معاذ الله أن نعبد غير الله أو أن نأمر بعبادة غير الله، ما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني»، فأنزل الله في ذلك هذه الآية إلى قوله: (مسلمون)[١].

وجاء في تفسير الجلالين سبب آخر للنزول وهو أنه: لما طلب بعض المسلمون السجود له صلى الله عليه وسلم[٢].

المبحث الثالث

صفات الربانيين في القرآن الكريم

وقد وردت في القرآن صفات الربانيين: عدد منها ما ورد في قوله تعالى: ﴿ مَاكَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾[٣]. وقد وردت في هذه الآية صفتان:

الصفة الأولى:

أنهم يعبدون الله ولا يعبدون سواه، والربانيّ: منسوب إلى الرب بزيادة الألف والنون كما يقال: رقباني ولحياني، وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته، وعن محمد بن الحنفية أنه قال حين مات ابن عباس: اليوم مات ربانيّ هذه الأمّة. وعن الحسن: ربانيين: علماء فقهاء. وقيل: علماء معلمين. وكانوا يقولون: الشارع الرباني: العالم العامل المعلم بما كُنْتُم: بسبب كونكم عالمين، وبسبب كونكم دارسين للعلم أوجب أن تكون الربانية التي هي قوّة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة، وكفى به دليلاً على خيبة سعي

---

[١] أخرجه ابن جرير: ٣/٣٢٣، وابن أبي حاتم: ٢/٦٩٣.

[٢] تفسير الجلالين، تأليف: جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي، بهامش تفسير البيضاوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط٢، ١٣٨٨.

[٣] سورة آل عمران، الآية (٧٩).

من جهد نفسه وكدّ روحه في جمع العلم، ثم لم يجعله ذريعة إلى العمل، فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها[١].

الصفة الثانية:

من صفات الربانيين أنهم قوم ارتبطوا بالقرآن تعليمًا وتعلمًا لقوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾. وتدرسون، من التدرّس. ويجوز أن يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف: تدرسونه على الناس، كقوله: ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾، فيكون معناهما معنى تدرسون من التدريس، وفيه أن من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها»، فقال قائل: ومن قلةٍ يومئذٍ؟ قال: «بل أنتم يومئذٍ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن» فقال قائل: يا رسول الله ما الوهن؟ قال: «حب الدنيا وكراهية الموت»[٢].

الصفة الثالثة من صفات الربانيين، وهذه وردت بالسنة: أنهم أقوياء بالله فمن كانت قوته بالسلاح إذا ذهب سلاحه ضعف، ومن كانت قوته بالملك إذا ذهب ملكه ضعف، ومن كانت قوته بالعدد فإذا ذهب العدد ضعف، ومن كانت قوته بالقبيلة إذا جفته القبيلة ضعف، ومن كانت قوته بالله فإن الله لا يحول ولا يزول ولم يضعف.

ومن أمثلة قوة الربانيين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

[١] الكشاف عن غوامض التأويل: ٣٧٨/١، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

[٢] أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم، باب تداعي الأمم على أهل الإسلام: ١١٥/٣، حديث رقم ٤٢٧٩، عن ثوبان رضي الله عنه.

حرام بن ملحان عندما بعثه إخوانه من القراء يوم بئر معونة بن عامر بن الطفيل، وفي رواية الطبري: فخرج حرام فقال: يا أهل بئر معونة إني رسول رسول الله إليكم فآمنوا بالله ورسوله، فخرج رجل برمح فضربه برمح في جنبه حتى خرج من الشق الآخر. وفي حديث جعل يحدثهم فآمنوا إلا رجل فأتاه من خلفه فطعنه بالرمح، فقال حرام: الله أكبر، فزت ورب الكعبة[1]. هذا الموطن عندما يطعن الإنسان بالرمح حتى يخرج من صدره وهو موطن من مواطن الضعف عند الناس عادة، ولكن الربانيين لا يصيبهم الضعف حتى في مثل هذه المواطن لأن قوته بالله مسبب الأسباب وليست قوتهم بالأسباب.

الصفة الرابعة من صفات الربانيين:

ومن صفات الربانيين الواردة في قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱسۡتَكَانُواْ﴾؛ أي: لم يخضعوا لأعدائهم ولم يذلوا لهم كما لم يقفوا ويقعدوا عن السير إلى الله، وكلمة الاستكانة تحمل معنى الوقوف والقعود والسكون وعدم الحركة. وفي حديث توبة كعب بن مالك: «أما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما». فتكون من صفات الربانيين عدم الخضوع والذل للأعداء، وعدم الوقوف عن السير إلى الله، فهم يتعلمون القرآن ويعلمونه، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، ويجاهدون في سبيل الله بلا خضوع ول فترة ولا وقوف، فإذا كان بعض الناس يرتاحون في آخر أعمارهم، فإن الرباني يبذل الجهد في سبيل الله حتى آخر نفس من أنفاسه.

الصفة الخامسة: صفة الصبر:

وقد وصفهم الله تعالى بصفة الصبر إذ يقول تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ

---

[1] الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من ينكب في سبيل الله: ١٩/٢، حديث رقم ٢٨٠١، عن أنس رضي الله عنه.

ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴾[1]. وأن الله يحب الصابرين، لأن الله إذا أحب عبدًا كان بصره الذي يبصر به، وسمعه الذي يسمع به، ويده التي يبطش بها، وقدمه التي يسعى بها، فالرباني سمعه بالله ويصره بالله ويطشه بالله وسعيه بالله، وإنه قد ورد أن العبد يتقرب إلى الله تعالى بنوافل الطاعات حتى يصير الله تعالى بصره الذي يبصر به وسمعه الذي يسمع به[2].

هذا ومن أمثلة البصر بالله، بصر سيدنا عمر بن الخطاب روي أنه بعث جيشًا وأمر عليهم رجلاً يدعى سارية بن الحصين، فبينما عمر يوم الجمعة يخطب جعل يصيح في خطبته وهو على المنبر: يا سارية الجبل.. الجبل، قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: فكتبت تاريخ تلك الكلمة، فقدم رسول مقدم الجيش، فقال: يا أمير المؤمنين، غزونا يوم الجمعة في وقت الخطبة فهزمونا، فإذا إنسان يصيح يا سارية الجبل، فأسندنا ظهورنا إلى الجبل فهزم الله الكفار، ظفرنا بالغنائم العظيمة ببركة ذلك الصوت، قلت سمعت بعض المذكرين قال: كان ذلك معجزة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم لأنه قال لأبي بكر وعمر أنتما مني بمنزلة السمع والبصر، فلما كان عمر بمنزلة البصر لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، لا جرم قدر أن يرى من ذلك البعد العظيم، والعين البشرية لا تدرك على مثل هذا البعد، فهو إبصار بقدرة الله[3].

وسماع سارية لعمر والاسترشاد برأيه هو سمع بقدرة الله فالأذن العادية لا

---

[1] سورة آل عمران، الآية (١٤٦).

[2] زهرة التفاسير: ٤/١٧٥٠، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، (ت ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.

[3] مفاتيح الغيب= التفسير الكبير: ٢١/٤٣٣، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ابن خطيب الري، (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

تسمع من على هذا البعد.

ومن أمثلة البطش بالله داء سعيد بن جبير على الحجاج عندما أمر بالنّطع فبسط، وقال: اقتلوه! فقال سعيد: وجّهت وجهي للّذي فطر السّموات والأرض، حنيفًا وما أنا من المشركين... قال الحجّاج: اذبحوه! قال سعيد: أما إنّي أشهد أنْ لا إله إلاَّ اللهُ وحْدهُ لا شريكَ لهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورسُولُهُ، خذها منّي حتَّى تلقاني بها يوم القيامة، ثمَّ دعى سعيد فقال: اللهمَّ لا تسلطه على أحد يقتله بعدي.

وكان الحجاج إذا نام يراه في المنام يأخذ بمجامع ثوبه، ويقول: يا عدوّ الله، فيم قتلتني؟ فيقول الحجّاج: ما لي ولسعيد بن جبير؟! ما لي ولسعيد بن جبير؟[1].

حُمل الإمام أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح الجندسابوري إلى المأمون، وكان خارج بغداد، فلما اقتربا من جيش الخليفة ونزلوا دونه بمرحلة جاء خادم وهو يمسح دموعه بطرف ثوبه، ويقول: يعز عليَّ يا أبا عبد الله أن المأمون قد سل سيفًا لم يسله من قبل، وإنه يقسم بقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن لم تجبه إلى القول بخلق القرآن ليقتلنك بذلك السيف، فجثى الإمام أحمد على ركبتيه ورمق بطرفه إلى السماء، وقال: سيدي غرَّ حلمك هذا الفاجر حتى تجرأ على أوليائك بالضرب والقتل، اللهم فإن يكن القرآن كلامك غير مخلوق، فاكفنا مؤونته، قال فجاءهم الصريخ بموت المأمون في الثلث الأخير من الليل[2].

ومن أمثلة السعي بقدرة الله، قال العلاء بن الحضرمي للمسلمين: «اذهبوا

---

[1] وفيات الأعيان: ٢٠٥/١-٢٠٦، تذكرة الحفاظ: ص٧١-٧٣، البداية والنهاية: ١٠١/٩-١٠٣.

[2] البداية والنهاية، ابن كثير: ٣٣٢/١٠.

بنا إلى دارين لنغزو من بها من الأعداء، فأجابوا إلى ذلك سريعًا فسار بهم حتى أتى ساحب البحر ليركبوا السفن، فرأى أن الشقة بعيدة لا يصلون إليهم في السفن حتى يذهب أعداء الله، فاقتحم البحر بفرسه، وهو يقول: يا أرحم الراحمين، يا حكيم يا كريم، يا أحد يا صمد، يا حي يا محي يا قيوم، يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا أنت يا ربنا. وأمر الجيش أن يقولوا ذلك ليفتحوا ففعلوا ذلك فأجاز بهم الخليج بإذن الله يمشون على مثل رملة دمثة فوقها ماء لا يغمر أخفاف الإبل، ولا يصل إلى ركب الخيل، ومسيرته للسفن يوم وليلة، فقطعه إلى الجانب الآخر فقاتل عدوه وقهرهم واحتاز غنائمهم، ثم رجع فقطعه إلى الجانب الآخر وعاد إلى موضعه الأول، وذلك كله في يوم واحد[1].

وقال أحد المسلمين في هذه الحادثة وهو عفيف بن المنذر:

ألـم تـر أن الهـف ذلَّـل بحـرَهُ   وأنـزل بالكفـار إحـدى الجلائـل

دعونا إلى شق البحار فجاءنا   بأعجب من فلق البحار الأوائل

ومن أمثلة السعي بالله قول آصف بن برخيا لسيدنا سليمان: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾[2]، وارتداد الطرف جزء من يسير جدًا من الثانية، ذلك لأن الأجسام ترسل أشعة إلى العين فتنعكس على عدسة العين، ثم تنتقل إلى مركز البصر في الدماغ عن طريق العصب البصري، ثم ترتد إلى العدسة عن طريق العصب البصري كذلك، وهذا هو ـ والله أعلم ـ ارتداد الطرف. وكان إحضاره أسرع من ذلك، وذلك لا يكون إلا بقدرة الله. بعد التوجه إليه بالدعاء. قيل:

---

[1] البداية والنهاية، ابن كثير: ٢٢٩/٦.

[2] سورة النمل، الآية (٤٠).

كان الدعاء الذي دعا به: «يا ذا الجلال والإكرام»، وقيل: «يا حي يا قيوم»، وقيل: «إلهنا وإله كل شيء إلهًا واحدًا لا إله إلا أنت ائتني بعرشها»[1].

الصفة السادسة: الدعاء:

من صفات الربانيين الواردة في الآية صفة الدعاء. ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِيٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾، قال ابن كثير في تفسيره للآية: أي لم يكن لهم هجير إلا ذلك، والهجير هو الدأب والعادة، فالبدعاء مشى الربانيون على وجه الماء وهزموا الجيوش، وبالدعاء قتلوا الجبابرة، وبالدعاء أحضر آصف بن برخيا عرش بلقيس قبل ارتداد الطرف، وبالدعاء يهدوا المدن في آخر الزمان، وإن الدعاء هو هجير الربانيين في أي عصر من العصور، وفي أي بلد من البلدان.

الآية الثالثة:

التي وردت فيها كلمة الربانيين هي قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[2].

قال الإمام الحسن البصري[3]: «هذه الآية نزلت في أهل الكتاب، وهي علينا واجبة». وقال عبد الرزاق بن سفيان الثوري عن منصور عن إبراهيم قال:

---

[1] حاشية الصاوي على الجلالين: ٣/٣٢٦.

[2] سورة المائدة، الآية (٤٤).

[3] الحسن البصري ٢١-١١٠هـ، الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد البصري، مولى زيد بن ثابت، وأمه مولاة لأم سلمة أم المؤمنين، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر، سمع عثمان يخطب في الجمعة. وكان سيد زمانه علمًا وعملاً. طبقات ابن سعد: ٧/١٥٦-١٧٨، والمعرفة والتاريخ: ٢/٣٢، ٣/٣٢.

نزلت هذه الآية في بني إسرائيل، ورضي الله لهذه الأمة بها[١].

في هذه الآية بيَّن الله تعالى الذين استحفظهم الله كتابه، والفرق واسع بين الحفظ والاستحفاظ، فالحفظ يمكن للمستشرق أن يحفظ القرآن، وأما الاستحفاظ فهو تحمل أمانته بتعليمه والعمل به ونشره، وهي صفة الربانيين، ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾.

والذين استحفظهم الله كتابه ثلاثة: الأنبياء، والربانيون، والأحبار. والأنسب في شرح الربانيين هنا أن يقول بقول سيبويه فيها الذي أورده صاحب لسان العرب في (ربب) قال: قال سيبويه[٢]: زادوا ألفًا ونونًا في الرباني إذا أرادوا تخصيصًا بعلم الرب دون غيره، كأن معناه صاحب علم بالرب دون غيره من العلوم[٣].

والأنسب في شرح الأحبار أن نقول فيها بقول تفسير الجلالين: الأحبار: الفقهاء.

فالرباني هو العالم بالله، والحبر هو العالم بشرع الله، وقد يكون الرباني عالمًا بشرع الله، وقد يكون الحبر عالمًا بالله وبشرع الله.

وقد وصف الله تعالى الذين استحفظهم كتابه بخمس صفات وردت في

---

[١] تفسير ابن كثير: ٦١/٢.

[٢] هو عمرو بن عثمان بن قنبر، أبو بشر، المعروف بسيبويه، إمام المدرسة البصرية في النحو بلا منازع، أخذ عن الخليل وأبي الخطاب الأخفش وغيرهما. ألف (الكتاب) في النحو، مات سنة: ١٨٠هـ، بالبيضاء وعمره اثنان وثلاثون عامًا، وقيل غير ذلك. له ترجمة في: بغية الوعاة: ٢٣١/٢، والبداية والنهاية: ١٧٦/١٠، ونزهة الألباء في طبقات الأدباء: ص٧١.

[٣] لسان العرب: ٤٠٣/١.

هذه الآية: ﴿ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾[١].

الصفة الأولى: صفة التسليم:

هي صفة التسليم التي مدح الله بها النبيين، ﴿ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ ﴾، والتسليم أربع مراتب حسب مراتب الخلق:

المرتبة الأولى: تسليم النبيين، وهذا لا ينبغي لأحد ولا يطيقه أحد إلا الأنبياء، وذلك كقول إبراهيم لابنه إسماعيل، وكرد إسماعيل عليه. يقول تعالى: ﴿ فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[٢].

المرتبة الثانية: تسليم الربانيين وهي أن يكون أمام مجريات الأقدار كالميت بين يدي الغاسل، لا يحزن لضراء مسته، ول يفرح بسراء أصابته، وإنما فرحه بفضل الله ورحمته، ولا يحزنه إلا الخوف من الله، فهو راضٍ عن الله في السراء والضراء، وهو راضٍ بالله ربًا وبالإسلام دينًا، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيًا ورسولاً.

المرتبة الثالثة: تسليم الأحبار والعلماء، وهي ثلاثة أشياء:

أ- أمر يأتمرون به.

ب- نهي ينتهون عنه.

ج- مباح لا يقدمون عليه إلا بعد أن يستخيروا الله فيه.

---

[١] سورة آل عمران، الآية (٧٩).

[٢] سورة الصافات، الآيات (١٠١-١٠٥).

المرتبة الرابعة: تسليم العامة، وهو العمل بأركان الإسلام الخمسة: «شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً». فإن فعل كان من المسلمين ودخل في دائرة الإسلام.

الصفة الثانية: الشهادة:

التي وصف الله بها الربانيين والذين استحفظهم الله كتابه هي قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾[١]، وبالعمل فأعمالهم تشهد بذلك وأقوالهم تشهد بذلك،.

الصفة الثالثة: خشية الله تعالى:

وقد قال الله تعالى في ذلك: ﴿فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾[٢]، والناس حيال الخوف من الله ثلاث مراتب:

١- بعضهم يخشى غير الله ولا يخشى الله، وهؤلاء أهل الكفر والفجور والعياذ بالله.

٢- والبعث يخشى الله، ولكنه يخاف الخوف الطبيعي من الأسد والثعبان والعقرب كل ما يؤذي ظاهرًا.

٣- أما الربانيون فلا يخشون شيئًا إلا الله، وقد ورد في كتاب (حياة الصحابة) للكاندهلوي الآتي: (وأخرج ابن عساكر عن وهب بن أبان القرشي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه خرج في سفر فبينما هو يسير إذا قوم وقوف فقال: ما بال هؤلاء؟ قالوا: أسد على الطريق قد أخافهم، فنزل عن دابته، ثم مشى إليه حتى إذا أخذ بأذنه فعركها، ثم نفذ قفاه ونحاه عن الطريق، ثم قال: ما كذب عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إنما يسلط على ابن آدم ما

[١] سورة المائدة، الآية (٤٤).

[٢] سورة المائدة، الآية (٤٤).

خافه ابن آدم، ولو أن ابن آدم لم يخف إلا الله لم يسلط عليه غيره، وإنما وُكل ابن آدم لمن رجا ابن آدم، ولو أن ابن آدم لم يرج إلا الله لم يكله إلى غيره»[١]. والأمثلة كثيرة جدًا على أن الربانيين لا يخشون النار، ولا يخشون الحيوانات، ولا يخشون الرجال، ولا يخشون أحدًا إلا الله.

الصفة الرابعة:

وهي قوله تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ﴾[٢]، والثمن القليل هو الدنيا وما فيها، والثمن الغالي هو الجنة، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة.

الصفة الخامسة: الحكم بما أنزل الله:

هي قول الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٣]، أورد ابن كثير في تفسيره لهذه الآية و"قال ابن جرير: حدثنا ابن المثنى حدثنا عبد الصمد حدثنا شعبة عن أبي السفر عن الشعبي" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون قال هذا في المسلمين، و"من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون" قال هذا في اليهود "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون" قال هذا في النصارى.

قال ابن طاوس: وليس كمن يكفر بالهل وملائكته وكتبه ورسله. وروى عن عطاء أنه قال: كفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسق دون فسق. وقال وكيع عن سعيد المكي عن طاوس قال: ليس بكفر ينقل عن الملة[٤].

فالرباني يحكم بحكم كتاب الله في نفسه وفي أسرته وفيمن من هم تحت

---

[١] حياة الصحابة: ٣٦٩/٤.

[٢] سورة البقرة، الآية (٤١).

[٣] سورة المائدة، الآية (٤٤).

[٤] تفسير ابن كثير: ٦١/٢.

إمرته.

الآية الرابعة التي وردت فيها كلمة الربانيين:

هي قوله تعالى: ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ الرَّبَّـٰنِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴾[١]. والصفة الواردة في هذه الآية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال ابن عباس في هذه الآية: «ما أنزل الله أشد توبيخًا من هذه الآية»، وكذا قال الضحاك: «ما في القرآن آية أخوف عندي منها إنا لا ننهى»[٢].

وأورد ابن كثير في نفس الصفحة قال: «خطب الإمام علي بن أبي طالب فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس إنما أهلك من كان قبلكم بركوبهم المعاصي ولم ينههم الربانيون والأحبار، فلما تمادوا في المعاصي أخذتهم العقوبات، فأمروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم مثل ما نزل بهم، واعلموا أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقًا ولا يقرب أجلاً». وقد ورد في مسند الإمام أحمد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من قوم يكون بين أظهرهم من يعمل بالمعاصي هم أعز منه وأمنع ولم يغيروا إلا أصابهم الله منه بعذاب»[٣].

وأخرج أحمد في مسنده عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وآكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنهم على لسان داود وعيسى بن مريم بما عصوا وكانوا يعتدون»، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان متكئًا فقال: «لا والذي نفسي بيده حتى

---

[١] سورة المائدة، الآية (٦٣).

[٢] ابن كثير: ٧٤/٢.

[٣] أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٢٥١/٦، حديث رقم ٣٧١٣، عن جرير رضي الله عنه.

تأطروهم على الحق أطرًا»[1]. ومعنى تأطروهم تعطفوهم.

[1] أخرجه الإمام أحمد في مسنده: ٥٤٨/٣١، حديث رقم ١٩٢١٦، عن جرير رضي الله عنه.

المبحث الرابع
نماذج من الربانيين

ومن أمثلة الربانيين طالوت ملك رباني:

وقد رودت قصته في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١]. بينهم وبين موسى ما ينيف ألف سنة[٢]. ﴿ ...إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ...﴾ هو شمويل أو شمعون، وكان بنو إسرائيل قد خاضوا في المعاصي وتمادوا فيها فسلط الله عليهم العماليق وهم جيرانهم، فاستلبوا منهم التابوت والتوراة وقتلوهم، وأخذوا منهم القرى، فانقطعت النبوة فيهم، وانقطع الملك، ولم يبق من سبط لاوي الذي كان فيه النبوة إلا امرأة واحدة حامل، فأخذوها واحتفظوا بها، ولا زالت المرأة تدعو الله أن يرزقها الله غلامًا نبيًا، فرزقها الله غلامًا فسمته شمويل بمعنى سمع الله دعائي، فلما بلغ سن النبوة أوحى الله إليه فأتاه بنو إسرائيل، فقالوا له: ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

فأوحى الله إلى نبيهم بأن يختار لهم طالوت ملكًا ولم يكن من ذرية لاوي

---

[١] سورة البقرة، الآية (٢٤٦).

[٢] البداية والن

بن يعقوب بيت النبوة، ولا من ذرية يهوذا بيت الملك، بل كان من ذرية بنيامين أصغر أولاد يعقوب، وكانت ذريته لا نبوة فيهم ولا مملكة، بل اقيموا في الحرف الدنيئة من أجل معاصيهم، وهو نفسه قيل: كان دباغًا، وقيل: سقاءً، وقيل: راعيًا.

ولذلك فإن بني إسرائيل ﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ وهذه منازعة شديدة لملكهم والمنازعة ترفع التأييد الإلهي لقول الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْۖ وَٱصْبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[١]. وقال لهم نبيهم: ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾[٢]، أي العلم بالله، فقد كان يحفظ التوراة، (والجسم) فهو أتم بني إسرائيل جسمًا وقوةً وأجملهم خلقًا، ثم بيَّن لهم نبيهم ﴿وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾، ثم بيَّن لهم نبيهم بركة ملكه عليهم أن يأتيكم (التابوت) صندوق من الخشب أنزله الله تعالى على أبينا آدم فيه صور الأنبياء، فتوارثه الأنبياء إلى أن وصل إلى سيدنا موسى، ثم كان عند بني إسرائيل يخرجونه معهم في حروبهم فينتصرون به، فسلط الله عليهم العماليق بسبب ذنوبهم فنزعوه منهم ووضعوه في بيت أصنامهم، وذلك بعد انقراض أنبيائهم، وعندما ظهر شمويل أرجعه الله إليهم.

وكان العماليق وضعوه تحت أكبر صنم فأصبح في يوم على رأس الصنم فأنزلوه، ثم أصبح بعدها على رأسه فسمروه تحته، فأصبح الصنم مكسور القوائم ملقى بعيدًا، فعلموا أن هذا الأمر من الله لا قبل لهم به، فأخرجوا

---

[١] سورة الأنفال، الآية (٤٦).

[٢] سورة البقرة، الآية (٢٤٧).

التابوت من بلدهم فوضعوه في بعض القرى فأصاب أهلها داء في رقابهم، فأمرتهم جارية من بني إسرائيل أن يردوه إلى بني إسرائيل حتى يخلصوا من هذا الداء، فحملوه على بقرتين فسارتا به لا يقربه أحد إلا مات، حتى اقتربتا من بلد بني إسرائيل فكسرتا النيرين ورجعتا وجاء بنو إسرائيل فأخذوه[١].

﴿فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ هي سر من أسرار الله تسكن إليه النفوس، وتطمئن إليه القلوب، وقد شرحها المفسرون بشروح مختلفة كلها تحوم حول هذا المعنى. وبعضهم جعلها جسمًا وليس غريبًا أن يجعل الله لأسراره سترًا جسديًا حتى لا يستنكر العقلانيون الأسرار الإلهية.

﴿وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ﴾[٢] عصا موسى، ورضاض الألواح، وعصا هارون، وثياب موسى وهارون، وقفيز من مَنّ، والنعلان.

﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ في الحقيقة تحمله الملائكة وفي الظاهر تحمله الأبقار سترًا للأسرار الإلهية حتى لا يستنكرها العقلانيون.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ أي على صدق نبوة نبيهم فيما جاءهم به وفيما أمرهم به من طاعة طالوت.

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ﴾ قال السدي: كان عدد جيشه ثمانين ألفًا. ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ﴾ قال ابن كثير: قال ابن عباس هو نهر بين الأردن وفلسطين يعني نهر الشريعة المشهور[٣]. والابتلاء لاختبار الطاعة وقطع المنازعة التي ترفع التأييد الإلهي، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ﴾[٤].

---

[١] تفسير ابن كثير: ٣٠٣/١.

[٢] سورة البقرة، الآية (٢٤٨).

[٣] تفسير ابن كثير: ٣٠٢/١.

[٤] سورة الأنفال، الآية (٤٦).

﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾[1]. كلهم شربوا إلا المؤمنين وأهل الطاعة وهم ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً وهم الذين اجتازوا معه النهر، فمن شرب لم يرتوِ ومن اغترف غرفة بيده ارتوى بها ودابته، ومن لم يطعمه فإنه ارتوى بقدرة الله تعالى.

﴿فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾[2]. وهذا القول قاله أهل الضعف، وتقالوا أنفسهم أمام جيش الذي كان في بعض الروايات مائتي ألف. فمال إليهم العلماء الربانيون أهل العلم بالله فقالوا لهم: إن وعد الله حق وإن النصر من عند الله وليس بكثير العدد ولا العدة قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾[3]. فثبتوهم وقووا شكيمتهم.

﴿وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾[4]. صاروا إلى هجيرهم الدعاء لاستنزال النصر الإلهي. فقالوا كما في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[5]. فخرج جالوت للمبارزة فنادى طالوت من يبرز له ويقتله أشاركه في ملكي وأزوجه ابنتي فبرز داود فرماه بحجر من مقلاعه فاخترق الخوذة وقدّ رأسه وخرج من خلفه، وقتل ثلاثين منهم ففر جيش جالوت، وانتصر أهل الإيمان بولد صغير هو داود عليه

[1] سورة البقرة، الآية للأ(٢٤٩).

[2] سورة البقرة، الآية (٢٤٩).

[3] سورة البقرة، الآية (٢٤٩).

[4] سورة البقرة، الآية (٢٥٠).

[5] سورة البقرة، الآية (٢٥٠).

السلام. ثم آلت إليه النبوة والملك بعد موت شمويل وطالوت[1].

مظاهر الربانية عند طالوت:

المظهر الأول: العلم الإلهي (العلم بالله):

فالعلم المثبت لطالوت هو العلم بالله وهو من صفات الربانيين، والعلم المنفي عن أكثر الناس، ولكن أكثرهم لا يعلمون ولا يفقهون ولا يعقلون هو العلم بالله، والعلم المنفي عن الكفار المنافقين هو العلم بالله، أما العلم بالدنيا فإنهم يعلمون ظاهرًا من الحياة الدنيا فيحسبون أن النصر بالعدد والعُدة وغيرها من الخطط الحربية. وأما العلماء بالله فيعلمون ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2].

المظهر الثاني: طاعة الله والرسول وأولي الأمر:

من مظاهر الربانية عند طالوت أن يأمر الجيش بعدم الشرب من نهر الابتلاء نهر الشريعة العذب رغم شدة الحر، فالعقلاني لا يقول لجيشه ذلك، بل يقول اشربوا وتزودوا بالماء لتقوى أجسامكم على مواجهة عدوكم، وعدوكم كثير مائتي ألف، وأنتم ثمانون ألفًا، ولا يحاول أن ينقص عدد جيشه، لأن يقينه على العدد والعُدة، أما الرباني فيعلم أن الريّ من عند الله، لذلك من شرب لم يرتو، ومن لم يشرب ارتوى بقدرة الله، فلا فاعل في الوجود ـ عند الرباني ـ إلا الله، فالري من عند الله، والشبع من عند الله والنصر من عند الله كذلك.

المظهر الثالث: قطع المنازعة:

من مظاهر الربانية عند طالوت قطع المنازعة، وأنه يعلم أن الذين خرجوا معه منازعون لأنهم يقولون كما حكى الله تعالى بقوله: ﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ

---

[1] تفسير ابن كثير: ٣٠٣/١.

[2] سورة الأنفال، الآية (١٠).

ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ ﴾[1]. فأراد أن يقطع هذه المنازعة باختبار الطاعة بالابتلاء الشديد، لأنه على يقين من أن الله لا ينزل على المتنازعين نصره. يقول تعالى: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ ﴾[2]، وأن المنازعة تنزع التأييد الإلهي، وقد رفعت التأييد الإلهي من المسلمين يوم أحد، ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ ﴾[3]، فروافع التأييد الإلهي الواردة في هذه الآية أربعة: الفشل وهو الجبن، والمنازعة، والمعصية، وإرادة الدنيا.

رُوي أنهم لما رأوا التابوت لم يشكوا في النصر فتسارعوا إلى الجهاد، فقال طالوت: لا يخرج معي شيخ ولا مريض ولا رجل بنى بناء ولم يفرغ منه، ولا صاحب تجارة مشتغل بها، ولا رجل عليه دين، ولا رجل تزوج امرأة ولم يبن بها، ولا أبتغي إلا الشاب النشيط الفارغ. فاجتمع إليه ممن اختاره ثمانون ألفًا، وكان الوقت قيظًا أي شديد الحر، وسلكوا مفازة فشكوا قلة الماء، وسألوا أن يجري الله لهم نهرًا، قال ـ أي طالوت ـ بإخبار من النبي شمويل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ ﴾ أي معاملكم معاملة المختبر بما اقترحتموه ليظهر عند طالوت من كان مخلصًا في نيته من غيره، ليميزهم من العسكر، لأن من لا يريد القتال إذا خالط العسكر يدخل الضعف في العسكر فينهزمون بشؤمه، فميز بينهما كالذهب والفضة فيهم الخبث، فميز الخالص من غيره بالنار.

---

[1] سورة البقرة، الآية (٢٤٧).

[2] سورة الأنفال، الآية (٤٦).

[3] سورة آل عمران، الآية (١٥٢).

﴿فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ﴾ أي ابتدأ شربه من ماء النار بأن كرع وهو تناول الماء بفيه من موضعه من غير أن يشرب بكفيه ولا بإناء، فليس مِنِّي، أي من جملتي وأشياعي المؤمنين، فمن للتبعيض دخلت على نفس المتكلم للإشعار بأن أصحابه لقوة اختصاصهم واتصالهم به كأنهم بعضه، أو ليس بمتحد معي فمن اتصالية كما في قوله تعالى: ﴿ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ بَعۡضُهُم مِّنۢ بَعۡضٖ﴾[١]، أي بعضهم متصل بالبعض الآخر ومتحد معه. ﴿وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ﴾ الطعم هنا بمعنى الذوق، وهو التناول من الشيء تناول قليلاً، يقال: طعم الشيء إذا ذاقه مأكولاً أو مشروبًا، ﴿فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ﴾ أي من أهل ديني، ﴿إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦ﴾ استثناء من قوله فمن شرب منه، واعتراض الجملة الثانية، وهو وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ﴾ للعناية بها لأن عدم الذوق منه رأسًا عزيمة والاغتراف رخصة وبيان حال الأخذ بالعزيمة أهم من بيان الأخذ بالرخصة.

فاختبرهم بعدم الشرب من النهر مع العطش وشدة الحر فشرب جميع المنازعين، وما اجتاز معه النهر إلا أهل الطاعة والإيمان فنزل عليهم النصر.

أما العقلاني فإنه لا يقبل أن يلقى عدوه بثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً بدلاً من ثمانين ألفًا لأنه يرى النصر بالعدد والعُدة، ولأنه يركن إلى الأسباب المادية أكثر من ركونه إلى مسبب الأسباب.

المظهر الرابع: اللجوء إلى دعاء الله:

من مظاهر الربانية عند طالوت اللجوء إلى الدعاء لاستنزال النصرة الإلهية وهو عادة الربانيين أنهم يستنصرون بالدعاء فينتصرون: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

---

[١] سورة التوبة، الآية (٦٧).

﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[1].

العلاء بن الحضرمي القائد الرباني:

لما ارتد أهل البحرين أرسل إليهم سيدنا أبو بكر الصديق العلاء بن الحضرمي، فندب الناس إلى دارين، ثم جمعهم فخطبهم، وقال: إن الله قد جمع لكم أحزاب الشياطين وشرد الحرب في هذا البحر، وقد أراكم من آياته في البر لتعتبروا بها في البحر ، فأنهضوا إلى عدوكم ثم استعرضوا البحر إليهم ، فإن الله قد جمعهم ، فقالوا : نفعل ولا نهاب والله بعد الدهناء هؤلاء ما بقينا فأرتحل وارتحلوا ، حتى إذا أتى ساحل البحر اقتحموا على الصاهل ، والحامل ، والشاحج ، والناهق، والراكب، والراجل، ودعاء ودعوا، وكان دعاؤه ودعاءهم : يا أرحم الراحمين ، يا كريم ، يا حليم ، يا أحد ، يا صمد ياحي يامحي الموتى ، يا حي يا قيوم ، لا إلة إلا أنت ياربنا فأجازوا ذلك الخليج بإذن الله جميعاً يمشون على مثله ميثاء، فوقها ماء يغمر أخفاف الإبل ، وإن ما بين الساحل ودارين مسيرة يوم ولية لسفن البحر في بعض الحالات ، فألتفوا بها واقتتلوا قتالاً شديداً ، فما تركوا بها مخبراً وسبو الذراري، واستاقوا الإبل ، فبلغ نفل الفارس ستة آلاف، والراجل ألفين ، قطعوا ليلهم وساروا يومهم ، فلما فرغوا رجعوا عودهم على بدنهم حتى عبروا ، وفي ذلك يقول عفيف بن المنذر[2] :

ألم تر أن الله ذلل بحره * وأنزل بالكفار إحى الجلائل**

دعونا إلى شق البحار فجاءنا * ياعجب من فلق البحار الأوائل**

---

[1] سورة البقرة، الآيات (٢٥٠-٢٥١).

[2] - عفيف بن المنذر التيمي أحد بني عمرو بن تميم ، ذكره سيف في الفتوح ، وأنه شهد مع العلاء ابن الحضرمي فقال الخطيم وأبلى فيه بلاءً حسنا .

وكان مع المسلمين راهب في هجر ، فأسلم يومئذ فقيل : ما دعاك إلى الإسلام ؟ قال : ثلاثة أشياء ، خشيت أن يمسخني الله بعدها إن أن لم أفعل :
فيض في الرمال ، وتمهيد أثباج البحار، وداء سمعته في عسكرهم في الهواء من السحر قالوا : وما هو ؟ قال : اللهم أنت الرحمن الرحيم، لا إله إلا غيرك، والبديع ليس شئ والدائم غير الغافل ، والحي الذي لا يموت ، وخاق ما يرى وما لا يرئ وكل يوم أنت في شأن ، وعلمت اللهم كل شئ بغير تعلم فعلمت أن القوم لم يعانوا بالملائكة إلا وهم على أمر الله [1].

مظاهر الربانية عند العلاء رضي الله عنه ومن معه من أفراد الجيش تتمثل في أمرين :

أولاً : ثقة العلاء رضي الله عنه في الله تعالى إذ قال لجيشه : (وقد آراكم من آياته في البر لتعتبروا بها في البحر ، فأنهضوا إلى عدوكم ، ثم استعرضوا البحر إليهم ، فإن الله قد جمعهم) . وهذه الثقة في الله وهذا العلم عن الله لا يصدر إلا من رجل رباني ذو علم رباني .

ثانياً : اللجو للدعاء وهو عادة الربانيين وهجيرهم إذا أرادوا أن تقضى لهم الحاجات .

سعد بن أبي وقاص القائد الرباني :

حدث الحسن بن جهور عن ابن أبي إلياس قال حدثني أبي عباد بن اسحاق عن إبراهيم بن محمد بن طلحة عن سعد ابن أبي وقاص قال بينا أنا بفناء داري إذ جاءني رسول زوجتي فقال أجب فلانة فأستنكرت ذلك فدخلت فقلت : مه ؟ فقالت إن هذه الحية وأشارت إليها كنت أراها بالبادية إذا خلوت ثم مكثت

---

[1] – تاريخ الرسل والملوك وصلة تاريخ الطبري / محمد بن جرير بن يذيد بن كثير بن غالب الأملي أبو جعفر الطبري (المتوفي ٣١٠ هـ) / دار التراث – بيروت – ط ٢ ، ١٣٨٧ هـ ج / ٣ ص ، ٣١٢ .

لا أراها حتى رآيتها الآن وهي هي أعرفها بعينها قال : فخطب سعد خطبة حمد الله واثنى عليه ثم قال : إنك قد آذيتني وأني أقسم لك بالله إن رأيتك بعد هذا لأقتلنك فخرجت الحية فأنسابت من البيت ثم من باب الدار وأرسل سعد معها إنساناً فقال أنظر أين تذهب فتبعها حتى جاءت المسجد ثم جاءت منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقت فيه مصعدة إلى السماء حتى غابت[١] .

وعندما أراد سعد بن أبي وقاص فتح المدائن في السنة السادسة عشر لم يجد شيئاً من السفن وتعزر عليه تحصيل شئ منها ، وقد زادت دجلة زيادة عظيمة وأسود ماؤها ورمت بالزبد من كثر الماء بها ، وأخبر سعد بأن كسرى يزدجرد عازم على أخذ الأموال والأمتعة من المدائن إلى حلوان ، وإنك إن لم تدركه قبل ثلاث فات عليك وتفاط الأمر ، فخطب سعد المسلمين على شاطئ دجلة فحمد الله تعاى وأثنى عليه وقال : إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر فلا تخلصون لإليهم معه .وقد رأيت أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل أن يحصركم الدنياألا أني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم ، فقالوا جميعاً : عزم الله لنا ولك على الرشد فأفعل ، فعند ذلك ندب سعد التاس إلى العبور ، ويقول من يبدأ فيحمي لنا الغراض يعني ثغرة المخاضة من الناحية الأخرى ليجوز الناس إليهم أمنيين ، فأنتدب عاصم وعمرو وذو البأس من الناس قريب من ستمائة فأمر عليهم عاصم بن عمرو فوقفوا على حافة دجلة فقال عاصم : من ينتدب معي لنكون قبل الناس دخولاً في هذا البحر فحمى الغراض من الجانب الأخر ؟ فأنتدب له ستون من الشجعان المذكورين – والأعاجم وقوف صفوفاً ينتظرون من الجانب الآخر – فأقتحم أحد المسلمين – وهو

---

[١] – أكام المرجان في أحكام الجان / محمد بن عبد الله الشبلي الدمشقي ، الحنفي ، أبو عبد الله بدر الدين بن تفي الدين (المتوفى : ٧٦٩ هـ) المحقق / إبراهيم محمد الجمل / مصر – القاهرة ج ١ / ص ، ١١٧ .

حجر بن عدي – وقد أحجم الناس عن الخوض في دجلة ، فقال : أتخافون من هذه النطفة ؟ ثم تلا قوله تعالى :

﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾[١] ثم اقتحم فرسه فيها واقتحم الناس ، وقد افترق الستون فرقتين أصحاب الخيل الذكور وأصخاب الخيل الإناث ، فلما رأهم الفرس يطفون على وجه الماء قالوا : ديونا ديونا ، (أي مجانين) ثم قالوا : والله ما تقاتلون إنساً بل تقاتلون جناً . ثم أرسلوا فرساناً منهم الماء يقاتلون أول المسلمين ليمنعوهم الخروج من الماء فأمر عاصم بن عمرو أن يشرعوا لهم الرماح ويتوخوا الأعين ففعلوا ذلك بالفرس فقلعوا عيون خيولهم فرجعوا أمام المسلمين لا يملكون كف خيولهم حتى خرجوا من الماء . وأتبعهم عاصم وأصحابه فساقوا ورآهم حتي طردوهم من الجانب الآخر ووقفوا على حافة دجلة فخاضوها حتى وصلوا إلى أصحابهم حتى نفرس الفرس من الجانب وكانوا يسمون الكتبة الأولى كتيبة الأهوال والكتيبة الثانية كتيبة الخرساء .وأميرهم القعقاع بن عمرو ، وهذا كله وسعد والمسلمين ينظرون إلى ما يصنع هؤلاء الفرسان بالفرس .

ثم نزل سعد ببقية الجيش وذلك حين نظروا إلى الجانب الآخر قد تحصن بمن حصل فيه من الفرسان المسلمين ، وقد أمر سعد المسلمين عند دخول الماء أن يقولوا نساعين بالله ونتوكل عليه ، حسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . ثم اقتحم بفرسه دجلة واقتحم الناس ولم يتخلف عنه أحد فساروا فيها كانما يسيرون على وجه الأرض حتى ملاؤا ما بين الجانبين فلا يرى وجه الماء من الفرسان والرجالة وجعل الماس يتحدثون على وجه الماء كما يتحدثون على وجه الأرض وذلك لما حصل لهم من الطمأنينة

---

[١] – سورة آل عمران الآية : (١٤٥) .

والأمن والوثوق بأمر الله ووعده ونصره وتأييده ولأن أميرهم سعد بن أبي وقاصأحد العشرة المبشرين بالجنة وقد توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض، ودعاء له فقال : (اللهم أجب دعوته وسدد رميته) وقد دعا سعد للجيش والسلامة والنصر فسدد رميتهم وسلمهم الله[1] .

هذا من ظاهر الربانية والتي هي ثمرة الإيمان وصدقه فإنها تبين في الله تعالى :

﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾دنيا قبل الآخرة فإن من توكل على اللّه، ولم تتشعب به المذاهب عده اللّه وفتح اللّه عليه طريق الهداية، وهدى قلبه، فأذاقه حلاوة الإيمان، وغشيته غاشية من السكينة، ورزق من اجتماع الخاطر ورباطة الجأش، وبرد اليقين، وهدوء النفس ما لا سبيل إليه لمن تثبت فكره، وتفرق هواه، ثم إنه لا يخطئه ما قدر له وقسم، ولكن ضعيف العقيدة متشتت البال يعاني الحزن والقلق من غير جدوى، والمؤمن المتوكل، الموحد ينعم بالهدوء، والطمأنينة والسكينة.

فإن من مظاهر الرانية وعظمتها عند جيش سعد اقتحامه البحر إيمانا منه وتصديقاً لقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾:[2] .

فإن من توكل على الله فهو حسبه ، وأنهم لو كانوا عقلانيين لنازعوه وقالوا له كيف تلقي بهذا الجيش الكبير في هذه التهلكة والله تعالى يقول : ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[3]، ولكنهم لم يناعوه وأطاعوا أمره رغم أن الأمر صعب جدًا.

ثالثًا: أول من ألقى بجواده في الماء هو حجر بن عدي بعد أن قال: أتخافون

---

[1] – البداية والنهاية لأبن كثير ، ٨ / ١٦٤ .

[2] – سورة آل عمران الآية : (١٥٩) .

[3] سورة البقرة، الآية: (١٩٢).

من هذه النطفة؟ وكلمة نطفة تطلق على الماء القليل غالبًا وقد تطلق ويراد بها البحر، وفي كلا الحالتين لا تصدر هذه الكلمة إلا من رجل رباني لا يخشى إلا الله وأنه لا فاعل في الوجود إلا الله تعالى، لذلك تلا قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا ﴾[١]، وأراد بمعنى الماء القليل فإن الله تعالى قد قلل هذا البحر في نظره حتى رآه كالنطفة، وذلك لأن القلب إذا امتلأ بالله الكبير صغر في نظره كل كبير إلا الله، وهذا لا يكون إلا من رجل رباني.

الرجل الذي فقد قعبه مالك بن عامر عندما فقد قعبه لم يلجأ إلى الناس فيصيح أيها الناس قد فقدت قعبي ساعدوني على الإمساك بقعبي أو من وجده فليحضره إلي، أو عبارات مثل ذلك فيها لجوء للخلق ولكنه لم يفعل ذلك ولم يلتفت للخلق بل قال: (اللهم لا تجعلني من بينهم أفقد متاعي) لجأ للدعاء وهو هجير الربانيين به يقضون أمورهم.

خامسًا: سلمان الفارسي رضي الله عنه عندما رأى سيدنا سعدًا يُلحُ في الدعاء قال له: (إن الإسلام جديد، ذللت لهم والله البحور كما ذلل لهم البر، أما والذي نفس سلمان بيده ليخرجن منه أفواجًا كما دخلوه أفواجًا) وهذا الكلام وهذا القسم لا يصدر إلا عن شخص رباني يعلم عن الله ما لا يعلمه العلماء العقلانيون وغيرهم.

سادسًا: لجوء سيدنا سعد رضي الله عنه وجميع من معه لهجير الربانيين الدعاء عند ورود الفاقات وهذا سلوك الربانيين وعادتهم فإنهم يقضون حوائجهم بالدعاء ويفرحون بالدعاء واللجوء إلى الله أكثر من فرحهم بقضاء الحاجات، يقول ابن عطاء الله في حكمه: (ورود الفاقات أعياد المريدين) ثم

---

[١] سورة آل عمران، الآية: (١٤٥).

يفرحون باللجوء إلى الله أكثر من فرحهم بقضاء الحاجات.

ومن الكرامات ما جرى على يدي بعض الصحابة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فأسيد بن حضير وعباد بن بشر صحابيان من الأنصار، خرجا مرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم في ليلة مظلمة شديدة الظلمة، فأضاء لهما طرف سوط أحدهما نورًا يشع أمامهما في ذلك الظلام وفي تلك الطرق الضيقة، حتى إذا افترقا وذهب كل منهما إلى داره، افترق النور بينهما مع هذا شعبة، ومع هذا شعبة إلى أن دخل كل منهما على أهل بيته، وذلك كرامة لهما.

الربانيون لا يخافون النار:

ذكروا عن أبي مسلم الخولاني أنه غضب عليه الأسود العنسي، فأوقدوا له نارًا وألقوه فيها، وصارت عليه بردًا وسلامًا، وخرج ولم يحترق، فلما وفد إلى عمر رضي الله عنه قال: الحمد لله الذي أرانا في أمة محمد من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الله، وأمر الصحابة أن يسلموا عليه كلهم، وأن يهنئوه.

وكان أسيد بن حضير مرة يقرأ في سورة الكهف، فلم يشعر إلا وسرج أمثال المصابيح قد نزلت عليه، وكان فرسه مربوطًا، فلما أحس بتلك الأنوار التي نزلت من السماء حاس الفرس وتحرك، فأسرع بالصلاة، وكان ابنه قريبًا من الفرس فخشي عليه، فلما انصرف من الصلاة ورفع رأسه وإذا تلك المصابيح قد ارتفعت، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: (اقرأ يا ابن حضير فتلك الملائكة نزلت لقراءتك)[1].

الربانيون يقتحمون المدن بالتهليل والتكبير:

---

[1] شرح العقيدة الطحاوية عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن فهد بن حمد بن جبرين (المتوفى: ١٤٣٠هـ) مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.

فتح حمص:

لما وصل أبو عبيدة في إتباعه الروم النهزمين إلى حمص نزل حولها يحاصرها ولحقه خالد بن الوليد فحاصروها حصارًا شديدًا وذلك في زمن البرد الشديد وصبر أهل البلد رجاء أن يصرفهم عنها شدة البر وصبر الصحابة صبرًا عظيمًا بحيث إنه ذكر ير واحد من الروم قد سقطت رجله وهي من الخف، والصحابة ليس في أرجلهم شيء سوى النعال، ومع هذا لم يصب منهم قدم ولا إصبع، ولم يزالوا بالمصالحة فأبوا عليه ذلك وقالوا: أتصالح والملك قريب منا؟

فيقال أن الصحابة كبروا في بعض الأيام تكبيرة ارتجت منها المدينة حتى تفطرت منها الجدران، ثم تكبيرة أخرى فسقطت بعض الدور فجاءت عامتهم إلى خاصتهم فقالوا: (ألا تنظرون إلى ما نزل بنا؟ وما نحن فيه؟ ألا تصالحون القوم عنا؟) قال: فصالحوهم على ما صالحوا عليه أهل دمشق.

مظاهر الربانية في هذه القصة:

أولاً: عدم التأثر بالبرد وهم في العراء ولا يلبسون إلا النعال وتنقطع أحراف الروم وهي في الأخفاف، وهذه القوة الروحية انعكست على الأجساد وهذا شيء من الله تعالى.

ثانيًا: اهتزاز المدن وتحطيم الجدران من تكبيرهم وهذا شيء من الله تعالى لا يكون إلا للربانيين[1].

---

[1] البداية والنهاية، لابن كثير، ٥٢/٧.

المبحث الخامس
نساء ربانيات
في أمة النبي صلى الله عليه وسلم

أم أيمن رضي الله عنها (المرأة الربانية):

ورد في كتاب حياة الصحابة: (عن عثمان بن القاسم قال لما هاجرت أم أيمن رضي الله عنها أمست بالمنصرف دون الروحاء، فعطشت وليس معها ماء وهي صائمة فجهدها العطش فدُلّيّ عليها من السماء دلو من ماء برشاء أبيض فأخذته فشربت منه حتى رويت. فكانت تقول: ما أصابني بعد ذلك عطش، ولقد تعرضت للعطش بالصوم في الهواجر في عطش فما عطشت بعد تلك الشربة، وإن كنت لأصوم في اليوم الحار فما أعطش)[١].

نسيبة بنت كعب أم عمارة

قالوا: وكانت نسيبة بنت كعب أم عمارة، وهي امرأة غزية بن عمرو، وشهدت أحدًا هي وزوجها وابناها، وخرجت معها شن لها في أول النهار تريد أن تسقي الجرحى، فقاتلت يومئذ وأبلت بلاء حسنا، فجرحت اثني عشر جرحا بين طعنة برمح أو ضربة بسيف.

فكانت أم سعد بنت سعد بن الربيع تقول: دخلت عليها فقلت: يا خالة، حدثيني خبرك، فقالت: خرجت أول النهار إلى أحد، وأنا أنظر ما يصنع الناس، ومعي سقاء فيه ماء، فانتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في أصحابه، والدولة والريح للمسلمين. فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسيف وأرمي بالقوس حتى خلصت إلي الجراح، فرأيت على عاتقها جرحًا له غور أجوف، فقلت يا أم عمارة، من أصابك بهذا؟

---

[١] وأخرجه ابن السكن عن القاسم ونحوه، كما في الإصابة، ج٨، ص٣٥٩، ترجمة رقم ١١٩٠٢.

قالت: أقبل ابن قميئة، وقد ولى الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يصيح: دلوني على محمد، فلا نجوت إن نجا، فاعترض له مصعب بن عمير وأناس معه، فكنت فيهم، فضربني هذه الضربة، ولقد ضربته على ذلك ضربات، ولكن عدو الله كان عليه درعان. قلت: يدك، ما أصابها؟ قالت: أصيبت يوم اليمامة لما جعلت الأعراب ينهزمون بالناس، نادت الأنصار: (أخلصونا)، فأخلصت الأنصار، فكنت معهم حتى انتهينا إلى حديقة الموت[١]، فاقتتلنا عليها ساعة حتى قتل أبو دجانة على باب الحديقة، ودخلتها أن أريد عدو الله مسيلمة، فيعترض لي رجل منهم فضرب يدي فقطعها، فوالله ما كانت لي ناهية ولا عرجت عليها حتى وقفت على الخبيث مقتولاً، وابني عبد الله بن زيد المازني يمسح سيفه بثيابه، فقلت: قتلته؟ قال: نعم. فسجدت شكرًا لله. ان ضمرة بن سعيد يحدث عن جدته، وكانت قد شهدت أحدا تسقي الماء، قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: لمقام نسيبة بن كعب اليوم خير من مقام فلان فلان! وكان يراها تقاتل يومئذ أشد القتال، وإنها لحاجزة ثوبها على وسطها، حتى جرحت ثلاثة عشر جرحًا.

مظاهر الربانية في هذه القصص:

أولاً: عدم الخوف إلا من الله: ومن هذه القصص يتبين أن الخوف ثلاث مراتب:

خوف الربانيين: وهؤلاء لا يخافون إلا من الله فهم لا يخافون من الأسد ولا من العقرب ولا من الثعبان ولا من السم ولا من نار الدنيا.

خوفهم من الله ملأ قلوبهم فقلوبهم مخلصة لربهم ليس فيها من الأغيار شيء لذلك أمنهم ربهم من كل شيء وأخاف منهم كل شيء.

خوف العقلانيين: وهم أغلب المسلمين يخافون من الله فيدفعهم خوفهم من

[١] حديقة الموت: بستان كان بقنا حجر من أرض اليمامة. (معجم البلدان، ج٣، ص٢٣٧).

الله للصلاة والصيام ولكنهم يخافون الخوف الطبيعي من الأسد والعقرب والحية وغيرها مما يؤذي عادة، كخوف جعفر بن زيد من الأسد حتى صعد الشجرة مع أنه مؤمن ومجاهد لكن هذا مقام وهذا مقام كخوف الركب الذي لقيه ابن عمر رضي الله عنهما يقفون خوفًا من الأسد، حتى أتى ابن عمر رضي الله عنه فأزاحه عن الطريق.

خوف أهل الكفر والفجور: فإنهم لا يخافون من الله ويخافون من كل شيء ولا يمنع ذلك أن يكون منهم شجعان يواجهون الأسد وينتصرون عليه ولكن خوفًا منه.

ثانيًا: المظهر الثاني من مظاهر الربانية في هذه القصص الدعاء: وهو هجير الربانيين وكل مشكلة تقابلهم يحلونها بالدعاء.

الخاتمة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً . وبعد

فيطيب لي في نهاية هذا البخث أن أتعرض للنتائج والتوصيات على النحو التالي :

أولاً : النتائج تتلخص في الآتي :

١/ وردت كلمة الربانيين في القرآن الكريم مرات عديدة .

٢/ للربانيين صفات كثيرة جعلتهم مؤهلين لهذا المقام منها تعلق القلب بالله عز وجل ، وارتباطهم بالقرآن الكريم وأن قوتهم مستمدة من الاعانة الربانية والتوكل على الله والصبر والجلد عند لقاء العدو ، وعدم الخوف.إلا من الله تعالى .

٣/ من صفاتهم الواردة في القرآن الكريم التسليم والخشية لله تعالى والحكم بما أنزل الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٤/ ذكر القرآن الكريم نماذج من الربانيين منهم طالوت وله صفات العلم بالله وطاعة الله والرسول وأولي الأمر ، وقطع المنازعة واللجوء إلى الدعاء .

٥/ من رباني هذه الأمة العلاء بن الحضرمي ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبومسلم الخولاني .

٦/ من النساء الربانيات في هذه الأمة أم أيمن ونسيبة بنت كعب .

وأما التوصيات فتتمثل فيما يلي :

أوصي الباحثين بدراسة هذا الموضوع في دراسات متقدمة مع جمع للنماذج المتفرقة في الكتاب والسنة عن الربانيين لأن التعرف على أمثال هؤلاء الربانيين ما قاموا به من خدمة الدين تبعث على قوة اليقين بالله والتوكل عليه .

ختاماً أسأل الله تعالى الإعانة والتوفيق وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

المصادر والمراجع :

القرآن الكريم

لسان العرب: لابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي، (ت ٧١١هـ)، إعداد وتصنيف: يوسف خياط، دار لسان العرب، بيروت.

جامع البيان في تأويل القرآن: ٥٤٤/٦. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر. مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

الاستيعاب: ١١٤٤/٣، وأسد الغابة: ١٤٥/٤، والإصابة: ٢٧٩/٤، وتذكرة الحفاظ:

أخرجه ابن جرير: ٣٢٣/٣، وابن أبي حاتم: ٦٩٣/٢.

تفسير الجلالين، تأليف: جلال الدين السيوطي وجلال الدين المحلي، بهامش تفسير البيضاوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي

الكشاف عن غوامض التأويل أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤٠٧هـ.

زهرة التفاسير: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، (ت ١٣٩٤هـ)، دار الفكر العربي.

مفاتيح الغيب= التفسير الكبير: ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي ابن خطيب الري، (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

وفيات الأعيان

البداية والنهاية، ابن كثير

حاشية الصاوي على الجلالين

طبقات ابن سعد ،

المعرفة والتاريخ
بغية الوعاة:
ونزهة الألباء في طبقات الأدباء
تاريخ الرسل والملوك وصلة تاريخ الطبري / محمد بن جرير بن يذيد بن كثير بن غالب الأملي أبو جعفر الطبري (المتوفي ٣١٠ هـ) / دار التراث – بيروت – ط ٢ ، ١٣٨٧ هـ
١ – أكام المرجان في أحكام الجان / محمد بن عبد الله الشبلي الدمشقي ، الحنفي ، أبو عبد الله بدر الدين بن تفي الدين (المتوفى : ٧٦٩ هـ) المحقق / إبراهيم محمد الجمل / مصر – القاهرة
شرح العقيدة الطحاوية عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن إبراهيم بن فهد بن حمد بن جبرين (المتوفى: ١٤٩٠هـ) مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
حديقة الموت : بستان كان بقنا حجر من أرض اليمامة. (معجم البلدان،